الإصدار: 01

# الإسلام دينٌ كاملٌ

تأليف
الشَّيخ محمد الأميــن الشِّنقيطي رحمه اللَّه
(1325 هـ - 1393 هـ)

خرَّج أحاديثه، وعلقَّ عليه
عمر بن محمد ابن بوساحة





العنوان: الإسلام دين كاملٌ.
التأليف: محمد الأمين الشنقيطي.
عدد الصفحات: 48 صفحـــة
قياس الصفحة: 16/12
الـموضوع: دين.
الطبعة: الأولـــى
سنة الطبع: 2015




الهاتف: 0.5.51.59.02.89
nakhil1978@yahoo.fr

## ترجمة الشَّيخ محمد الأميــن الشِّنقيطي رحمه اللَّه

(1325 هـ - 1393 هـ)

**الاسم، والنَّسب، والنَّشأة:**

هــو مـحمد الأميـن بن مـحمد الـمختـار الشِّـنقيطــي؛ يرجع نسبه إلـى قبيلـة (جـاكـان)، والتـي ترجع أصولـها إلـى قبيلة حِـمْـيَـر العـربيــة.

ولـد سنـة (1325هـ) فـي (تَـنْـبه) من أعمـال مـديريـة (كيفا) مـن منطقـة (شنقيط)، وهـي مـن أعمـال (أطــــار)[1] فـي الشَّمـال الغربي مـن مـوريتـانيـــا.

حفظ القـرآن، وهو دون العاشـرة من عمـره، كمـا درس بعض الـمختصرات فـي فقه الإمـام مالك رحـمـــه الله كرجز الشَّيخ «ابن عاشـر»، كمـــا درس الأدب

---

(1) عاصمـة ولايـــة آدرار. تبعــد عـــن نواكشوط بـ(435 كم).

العربـــي، والنَّحو، والسِّـيرة النَّـبويـة، وغيـرها من العـلــوم الشَّـرعيـة، واللُّـغويـة.

خـــرج من بلاده لأداء فريضة الـحـج برًا بنيـة العـودة؛ لكن شاءت أقدار الله أن يبقـى فـي أرض الـحجـاز؛ وقد اختيــر للتَّـدريس فـــي الـمعهـــد العلمـــي بالرِّيـاض عنـد افتتـاحـه سنة (1371هـ)؛ وكذا كلية الشَّريعة، وكلية اللُّغة العربيـة إلـــى غــايـة سنـــة (1381هـ)؛ ثـــم انتقـــل للتَّـدريس فـي «الـجـامعـة الإسلاميــة» بــ«الـمدينــة النَّـبويــــة».

عُيِّـــن كأحد أعضاء هيئة كبار العلماء فـي «الـمملكة العربيــة السُّـعوديــــة» عند بـدايـــة تشكيلهـــا، وكـــان عضوًا فاعـلاً فـي الـمجلس التَّـأسيسي لـ«رابطـــة العـــــالـم الإســلامـــــــي».

**وفاتــه:**

وافته المنية ضحى يوم الخميس (17) ذي الحجة سنة (1393هـ) بمكة المكرمة، ودُفن بمقبرة (المعلاة) بمكة.

**مؤلفاته:**

1. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن[1].
2. الرِّحلة إلى إفريقيا.
3. العذب النَّمير من مجالس «الشِّنقيطي» في التَّفسير[2].
4. الإسلام دينٌ كاملٌ.
5. منهج التَّشريع الإسلامي، وحكمته.

---

(1) نشرته دار عالم الفوائد. مكة المكرمة. السُّعودية.

(2) هذان الكتابان حقَّقهما خالد بن عثمان السَّبت، ونشرتهما دار عالم الفوائد. ط (1). سنة (1426هـ). مكة المكرمة. السُّعودية.

6. منهجٌ، ودراساتٌ لآيات الأسماء، والصِّفات.

7. المصالح المرسلة.

8. بيان النَّاسخ، والمنسوخ من آي الذِّكر الحكيم.

9. المُثُلُ العليا في الإسلام.

10. فتوى في تحريم التَّعليم المختلط[1].

11. دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب.

12. منع جواز المجاز في المنزَّل للتَّعبد، والإعجاز[2].

---

(1) هذه السَّبعة الأخيرة طُبعت مجتمعةً باسم (المحاضرات)، ونشرتها دار عالم الفوائد. ط (1). سنة (1426هـ). مكة المكرمة. السُّعودية.

(2) طُبع هذان الكتابان في دار عالم الفوائد. ط (1). سنة (1426هـ). مكة المكرمة. السُّعودية.

13. مذكــرةٌ أصـول الفقـه على روضة النَّـاظـــر[1].

14. آداب البحث، والـمنـاظــرة[2].

15. رحـلـة الـحـــج[3].

16. الفتـاوى[4].

17. أرجـوزةٌ فــي فقــه الإمــام مــالك.

18. خـالـص الـجمـان: وهـو نـــــظـمٌ فـــــي أنساب العـدنــانيِّـيـن.

---

(1) حـقَّـقـــه أبو حفص سامــي العـــربـي. ط (1). سنـــــــة (1419هـ/1999م). دار اليقيـن. الـمنصـــورة. مصر.

(2) حقَّقه سعود بن عبد العزيز العريفي، ونشرته دار عالـم الفـوائــد. مكة الـمكرمـــة. السُّعوديـة.

(3) طُبع فـي دار عالـم الفـوائـــد. ط (1). سنة (1426هـ). مـكـــة الـمكرمــة. السُّعوديـة.

(4) حـقَّقـه سليمان بن عبد الله العميـر، ونشرتـــــه دار عالـم الفـوائـد. ط (1). سنة (1426هـ). مكـة الـمكرمة. السُّعوديـة.

19. **ألفيـةٌ فــي علم الـمنطــق.**

20. **منظومــةٌ فـــي عـلـم الفـرائـــض[1].**

**مصادر التَّرجمة:**


1. مقدمـة «أضواء البيـان فـــي إيضاح القــرآن بالـقـرآن». الشَّيخ عطيـة مـحمـد سالـــم. ط (1). سنـة (1426هـ). دار عالـــم الفوائــد. مكــة الـمكرمـــة. السُّعـوديـة.
2. علمـاءٌ، ومـفـكـرون عـرفتهـــم. مـحمـــد الـمجـذوب. ط (4). دار الشـــواف. الـرِّيـاض. السُّعـوديـة.


---

(1) وهـذه الأربعـة الأخيـرة لـم تُطبع لـحـــد الآن؛ فـــي حـــدود علمـي.

**ملاحظـــةٌ:** كل التَّـخريـجات، والتَّـعليقات على هامش الرِّسالة مـن وضعـــي؛ وأقول هذا لأنِّـي رأيت بعض من يعتنـي بالكتب يـمزج تعليقاته مع تعليقات صاحب الكتاب؛ فلا تتمايزان؛ فتقـع نسبـة الكلام لغيـر قائلـــه.

**بسم اللَّه الرَّحمن الـــرَّحيـــــم**

الـحمد لله رب العالـميـن، والصَّـلاة، والسَّـلام على نبيِّــنا مـحمَّـــدٍ، وعلى آلـه، وصحبــه، ومـن دعـــا بـدعوتــه إلـــى يــوم الـدِّيـن، وبـعــد:

فهذه مـحـاضرةٌ ألقيتُها فـي الـمسجـد النَّبــويِّ بطلبٍ مـــن ملك الـمغــرب؛ فطلب منِّـي بعض إخـوانـــي تقيِّـدهـا لنشرها؛ فلبَّيتُ طلبـه راجيًـا مـن الله أن يـنفـع بـهـا.

قـال الله تعالـى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[الـمائدة:3]. **ذلك** اليـوم يـوم عـرفـة، وهو يوم الـجمعـــة فـي حجَّـة الـــوداع.

نزلت هذه الآيـة الكريـمة، والنَّبــيُّ ﷺ واقفٌ بعـرفات، عشيَّة ذلك اليوم، وعـاش ﷺ بعد نزولـها إحــــــدى، وثمانيـن ليلةً، وقد صرَّح الله تعالـى فـي هذه الآيـــــــة الكريـمة أنَّـه أكمل لنا ديـننا؛ فلا يُـنقصه أبـدًا، ولا

يحتاج إلى زيادةٍ أبدًا؛ ولذلك ختم الأنبياء بنبيِّنا، عليهم صلوات الله، وسلامه جميعًا، وصرَّح فيها أيضًا بأنَّه رضي لنا الإسلام دينًا؛ فلا يسخطه أبدًا؛ ولذا صرَّح بأنَّه لا يقبل غيره من أحدٍ، قال: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:85]. ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:19].

وفي إكمال الدِّين، وبيان جميع أحكامه، كلُّ نِعَم الدَّارين؛ ولذا قال: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾، وهذه الآية الكريمة نصٌّ صريحٌ، في أنَّ دين الإسلام لم يترك شيئًا يَحتاجُ إليه الخلق، في الدُّنيا، ولا في الآخرة، إلاَّ أوضحه، وبيَّنه كائنًا ما كان؛ وسنضرب لذلك المثل، ببيان عشر مسائل عظامٍ، عليها مدار الدُّنيا، من المسائل التي تهمُّ العَالَمَ في الدَّارين، وفي البعض تنبيهٌ لطيفٌ على الكلِّ:

الأولى: التَّوحيد.

الثَّانية: الوعظ.

الثَّالثة: الفرق بين العمل الصَّالح، وغيره.

الرَّابعة: تحكيم غير الشَّرع الكريم.

الخامسة: أحوال الاجتماع بين المجتمع.

السَّادسة: الاقتصاد.

السَّابعة: السِّياسة.

الثَّامنة: مشكلة تسليط الكفَّار على المسلمين.

التَّاسعة: مشكلة ضعف المسلمين عن مقاومة الكفَّار، في العَدَدِ، والعُدَدِ.

العاشرة: مشكلة اختلاف القلوب بين المجتمع؛ ونُوَضِّحُ علاج تلك المشاكل من القرآن؛ وهذه إشارةٌ خاطفةٌ إلى بيان جميع ذلك بالقرآن، تنبيهًا به على غيره.

المسألة الأولى: وهي التَّوحيد؛ فقد عُلِمَ باستقراء القرآن أنَّه منقسمٌ إلى ثلاثة أقسامٍ:

النَّوع الأول: توحيده جلَّ، وعلا في ربوبيته؛ وهذا النَّوع من التَّوحيد جُبلَت عليه فِطَر العُقلاء. قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[الزُّخرف:87]، وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[يونس:31]، والآيات بنحو ذلك كثيرةٌ، وإنكارُ فرعون لهذا النَّوع في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الشُّعراء:23] مكابرةٌ، وتجاهلٌ، بدليل قوله: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء:102]، وقوله: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النَّمل: 14]؛ ولهذا كان القرآن ينزل بتقرير هذا النَّوع من

التَّوحيد بصيغة «استفهام التَّقرير»، كقوله: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[إبراهيم:10]، وقوله: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [إبراهيم:10]، وقوله: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ﴾ [الرَّعد:16]، ونحو ذلك؛ لأنَّهم يقِرُّون به؛ وهذا النَّوع من التَّوحيد لم ينفع الكفَّار، لأنَّهم لم يوحِّدُوه جلَّ، وعلا، في عبادته، كما قال: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف:106]. ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمر:3]. ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ﴾[يونس:18].

<u>النَّوع الثَّاني</u>: توحيده جلَّ، وعلا في عبادته؛ وهو الذي وقعت فيه جميع المعارك بين الرُّسُل، والأمم، وهو الذي أُرسلت الرُّسُل لتحقيقه، وحاصله هو معنى لا إله

إلاَّ الله؛ فهو مبنيٌ على أصلين: هما النَّفي، والإثبات من (لا إله إلاَّ الله)؛ فمعنى النَّفي منها، خلع جميع أنواع المعبودات، غير الله تعالى، في جميع أنواع العبادة كائنةً ما كانت؛ ومعنى الإثبات منها هو إفراده جلَّ، وعلا وحده بجميع أنواع العبادة، على الوجه الذي شرع أن يُعبد به، وجلُّ القرآن في هذا النَّوع ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النَّحل:36]. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء:25]. ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة:256]. ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزُّخرف:45]. ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء:108]، والآيات في هذا كثيرةٌ جدًّا.

النَّوع الثَّالث: هو توحيده جلَّ، وعلا، في أسمائه، وصفاته؛ وهذا النَّوع من التَّوحيد، ينبني على أصلين كما بيَّنه جلَّ، وعلا:

الأوَّل: هو تنزيهه تعالى عن مشابهة صفات الحوادث.

والثَّاني: هو الإيمان بكلِّ ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ حقيقةً، لا مجازًا، على الوجه اللاَّئق بكماله، وجلاله، ومعلومٌ أنَّه لا يصفُ اللهَ، أعلم بالله من الله، ولا يصف الله، أعلم بالله، مِن رسول الله، والله يقول عن نفسه: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:140]، ويقول عن رسوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [الشُّورى:3-4]؛ فقد بيَّن تعالى نفي الـمُمَاثلة عنه، بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشُّورى:11]، وبيَّن إثبات الصِّفات له على الحقيقة بقوله: ﴿وَهُوَ

ﭐلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشُّورى:11]؛ فأوَّل الآية يقضي بعدم التَّعطيل، فيتَّضح من الآية أنَّ الواجب إثبات الصِّفات حقيقةً من غير تمثيلٍ، ونفي المُماثلة من غير تعطيلٍ، وبيَّن عجز الخلق عن الإحاطة به جلَّ، وعلا. قال: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴾ [طه:110].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

المسألة الثَّانية: التي هي الوعظ؛ فقد أجمع العُلَماء، على أنَّ الله تعالى لم يُنزل من السَّماء إلى الأرض واعظًا أكبر، ولا زاجرًا أعظم، من موعظة المراقبة، والعلم، وهي أن يلاحظ الإنسان أنَّ ربَّه جلَّ، وعلا رقيبٌ عليه، عالمٌ بكلِّ ما يُخفي، وما يُعلِن، وضرب العلماء لهذا الواعظ الأكبر، والزَّاجر الأعظم مثلاً يصير به المعقول كالمحسوس. قالوا: لو فرضنا مَلِكًا سفَّاكًا للدِّماء؛ قتَّالاً للرِّجال. شديد البطش، والنَّكال،

وسيَّافه قائمٌ على رأسه، والنَّطع[1] مبسوطٌ، والسَّيف يقطر دمًا، وحول ذلك الملك بناته، وأزواجه. أيخطرُ في البال أن يَهِمَّ أحدٌ من الحاضرين بريبةٍ، أو نيل حرامٍ، من بنات ذلك الملك، وأزواجه، وهو عالمٌ به ناظرٌ إليه؟ لا، وكلاَّ، ولله المثل الأعلى؛ بل كلُّ الحاضرين يكونون خائفين، خاضعةً قلوبهم، خاشعةً عيونهم، ساكنةً جوارحهم، غايةُ أمانيهم السَّلامة، ولا شكَّ، ولله المثل الأعلى، أنَّ الله جلَّ، وعلا، أعظم اطِّلاعًا، وأوسع علمًا من ذلك المَلِك، ولاشكَّ أنَّه أعظم نكالاً، وأشدَّ بطشًا، وأفظع عذابًا، وحِماه في أرضه محارمه، ولو علم أهل بلدٍ، أنَّ أمير البلد يصبح عالمًا بكلِّ ما فعلوه باللَّيل، لباتوا خائفين، وتركوا جميع المناكر خوفًا منه.

---

(1) النَّطِعُ، والنَّطَعُ: بسَاطٌ من الجلد؛ كان يُقتَلُ فوقَه المحكومُ عليه بالقتل.

وقد بيَّن تعالى أنَّ الحكمة التي خَلَقَ الخلق من أجلها، هي أن يبتليهم؛ أي يختبرهم، ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف:7]. قال في أوَّل «سورة هود»: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:7] ولم يقل: (أيُّكم أكثر عملاً)، وقال في «المُلك»: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[الملك:2]، وهاتان الآيتان تبيِّنان المُراد من قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذَّاريات:56]؛ ولمَّا كانت الحكمة في خلق الخلائق الاختبار المذكور، أراد جبريل أن يبيِّن للنَّاس طريق النَّجاح، في ذلك الاختبار: فقال للنَّبي ﷺ: (أخبرني عن الإحسان؟)؛ أي وهو الذي خُلِق الخلق لأجل الاختبار فيه، فبيَّن ﷺ

أنَّ طريق الإحسان هي هذا الزَّاجر الأكبر، والواعظ الأعظم المذكور فقال: (هو أن تعبد الله كأنَّك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك)[1].

ولهذا لا تقلبُ ورقةً من المصحف الكريم، إلاَّ وجدتَ فيها هذا الواعظ الأعظم، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[ق:16]. ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[ق:18].﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف:7]. ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾[يونس:61]. ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا

---

(1) مسلم (8).

يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[هود:5]، ونحو هذا في كلِّ موضعٍ من القرآن.

* * * * *

**المسألة الثَّالثة**: التي هي الفرق بين العمل الصَّالح، وغيره؛ فقد بيَّن القرآن العظيم، أنَّ العمل الصَّالح هو ما استكمل ثلاثة أمورٍ، ومتى اختلَّ واحدٌ منها، فلا نفع فيه لصاحبه يوم القيامة:

**الأوَّل: أن يكون مطابقًا لما جاء به النَّبي ﷺ لأنَّ الله يقول:** ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [الحشر:7]. ويقول: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النِّساء:80] ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي ﴾[آل عمران:31]. ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾ [الشُّورى:21]. ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴾ [يونس:59].

**الثَّاني:** أن يكون خالصًا لوجهه تعالـى؛ لأنَّه يقـــول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[البيِّنـة:5]، ويقول: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ﴾ [الزُّمـر:11-15].

**الثَّالث:** أن يكون مبنيًا على أساس العقيـدة الصَّحيحة؛ لأنَّ العمل كالسَّقف، والعقيدة كالأساس. قـال تعالـــى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ [النِّساء:124]؛ فقيَّد ذلك بقولـه: ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾، وقـال فـي غيـر الـمؤمــن: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:23]، وقال تعالـى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [هـــود:16]. إلـى غيـر ذلك مـن الآيـــات.

المسألة الرَّابعة: التي هي تحكيم غير الشَّرع الكريم؛ فقد بيَّن القرآن أنَّها كفرٌ بواحٌ، وشركٌ بالله تعالى؛ ولمَّا أوحى الشَّيطان إلى كفَّار مكَّة أن يسألوا نبيَّنا ﷺ عن الشَّاة تصبح ميتةً: (من قتلها؟)، فقال: (الله قتلها) ؛ فأوحى إليهم أن يقولوا له: ما ذبحتموه بأيديكم حلالٌ، وما ذبحه الله بيده الكريمة حرامٌ، فأنتم إذن أحسن من الله، أنزل الله: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام:121]، وعدم دخول الفاء على جملة ﴿ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾ قرينةٌ ظاهرةٌ على تقدير لام توطئة القَسَم، فهو قَسَمٌ من الله. أقسم به جلَّ، وعلا في هذه الآية الكريمة، على أنَّ من أطاع الشَّيطان في تشريعه تحليلَ الميتة أنَّه مشركٌ، وهو شركٌ أكبر، مخرجٌ عن الملَّة الإسلامية بإجماع المسلمين، وسيوبِّخ الله يوم القيامة

مرتكبه بقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[يس:60-61]، **وقال تعالى عن خليله:** ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [مريم:44]. **أي باتِّباعه في تشريع الكفر، والمعاصي، وقال:** ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ [النِّساء:117]؛ **أي ما يعبدون إلاَّ شيطانًا، وذلك باتِّباعهم تشريعه، وقال تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ [الأنعام:137]؛ **فسمَّاهم شركاء، لطاعتهم لهم، في معصية الله بقتل الأولاد؛ ولمَّا سأل عَدِّيٌّ بن حَاتِمٍ رضيَّ الله عنه النَّبي ﷺ عن قوله:** ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾ [التَّوبة:31]. **أجابه النَّبيُّ**

ﷺ بأنَّ معنى اتخاذهم أربابًا، هو اتِّباعهم لهم، في تحريم ما أحلَّ الله، وتحليل ما حرَّمه[1]؛ وهذا أمرٌ لا نزاع فيه ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ [النِّساء:60]. ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:44]. ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [الأنعام:114]. وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنعام:115].

---

(1) حسنٌ. التِّرمذي (3095).

فقوله: ﴿صِدۡقٗا﴾: أي في الإخبار، ﴿وَعَدۡلٗا﴾: أي في الأحكام. ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:50].

* * * * *

<u>المسألة الخامسة:</u> التي هي أحوال الاجتماع؛ فقد شفى فيها القران الغليل، وأنار فيها السَّبيل؛ فانظر إلى ما يُأمَرُ الرَّئيس الكبير أن يفعله مع مجتمعه: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الشُّعراء:215]. ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [آل عمران:159].

وانظر إلى ما يأمر المجتمع العام أن يفعله مع رؤسائه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ

مِنكُمْ﴾ [النِّساء:59]، وانظر إلى ما يأمر الإنسان أن يفعله مع مجتمعه الخاص، كأولاده، وزوجته. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التَّحريم:6].

وانظر كيف ينبِّهه على الحذر، والحزم من مجتمعه الخاص، ويأمره إن عثر على ما لا ينبغي، أن يعفو، ويصفح، فيأمره أوَّلاً بالحزم، والحذر، وثانيًا بالعفو، والصَّفح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التَّحريم:14]، وانظر إلى ما يأمر أفراد المجتمع العام أن يتعاملوا به فيما بينهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ

تَذَكَّرُونَ﴾ [النَّحل:90]، وقـال تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:12]، وقـال تعالـى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:11]، وقال تعالـى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة:2]. ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:10]، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشُّورى:38]. إلـى غيـر ذلك.

ولـمَّا كان المجتمع لا يسلم فردٌ من أفراده كائنًا من كان؛ من مُناوئٍ يناوئه، ومُعَادٍ يعاديه من مجتمعه الإنسي، والجِنِّي. ليس يخلو المرء من ضدٍّ؛ ولو حاول العزلة في رأس الجبل، وكان كلُّ

فــردٍ، مـحتاجًـا إلـى عـلاج هذا الـدَّاء الذي عمَّت به البلــوى، أوضح تعالـى علاجـه فـي ثلاثـة مواضع من كتابه، بيَّـنَ فـيها أنَّ علاج مناوأة الإنسي، هو الإعراض عن إساءتـه، ومقابلتها بالإحسان، وأنَّ شيطان الـجـنِّ لا عـلاج لـدائــه إلاَّ الاستعـاذة بالله مـن شــــرِّه.

الـموضع الأول: قولـه تعالـى فـي أخـريـات «الأعراف» فـي الإنسـيِّ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:199]، وفـي نظيـره مـن شياطيـن الـجـنِّ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعــراف:200].

الـموضع الثَّاني: فـي «سورة الـمؤمنون» قال تعالـى فـي الآيـــة: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [الـمؤمنون:96]. وفـي نظيـره الآخــــر: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ

﴿مِّنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾ [المؤمنون:97-98].

**الموضع الثَّالث:** **في «فُصِّلت»، وقد زاد فيه تعالى التَّصريح بأنَّ ذلك العلاج السَّماويَّ، يقطع ذلك الدَّاء الشَّيطاني، وزاد فيه أيضًا أنَّ ذلك العلاج السَّماويَّ، لا يُعطى لكلِّ النَّاس؛ بل لا يُعطاه إلاَّ صاحب النَّصيب الأوفر، والحظُّ الأكبر.** قال فيه في الآية: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [فصِّلت:34-35]. **وقال في نظيره الآخر:** ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [فصلت:36].

**وبيَّن في مواضع أخرى أنَّ ذلك الرِّفق، واللِّين، لخصوص المسلمين، دون الكافرين. قال:** ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:54]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:29]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾[التَّحريم:9]؛ فالشِّدَّة في محلِّ اللِّين حمقٌ، وخرقٌ؛ واللِّين في محلِّ الشِّدَّة ضُعفٌ، وخَوَرٌ:

إذا قيل حلمٌ قل فللحلم موضعٌ
وحلم الفتى في غير موضعه جهلٌ

* * * * *

**المسألة السَّادسة:** التي هي مسألة الاقتصاد؛ فقد أوضح القرآن أصولها التي ترجع إليها جميع الفُروع؛ وذلك أنَّ مسائل الاقتصاد راجعةٌ إلى أصلين:

**الأول:** حسن النَّظر في اكتساب المال.

**الثَّاني:** حسن النَّظر في صرفه في مصارفه.

فانظر كيف فتح الله في كتابه الطُّرق إلى اكتساب المال بالأسباب المناسبة للمروءة، والدِّين، وأنار السَّبيل في ذلك. قال: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾[الجمعة:10]، وقال: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ﴾ [المزمِّل:20]، وقال: ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ ١٩٨﴾ [البقرة:198]، وقال: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ ﴾ [النِّساء:29]، وقال: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ ﴾ [البقرة:275]. وقال: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ ﴾[الأنفال:69] إلى غير ذلك؛ وانظر كيف يأمر بالاقتصاد في الصَّرف؛ ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾ [الإسراء:29]. ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ [الفرقان:27]، ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ

ٱلۡعَفۡوَ﴾ [البقرة:219]؛ وانظر كيف ينهى عن الصَّرف فيما لا يحلُّ الصَّرف فيه: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةً ثُمَّ يُغۡلَبُونَ﴾ [الأنفال:36].

* * * * *

المسألة السَّابعة: التي هي السِّياسة؛ فقد بيَّن القرآن أصولها، وأنار معالمها، وأوضح طُرُقها؛ وذلك أنَّ السِّياسة التي هي مصدر: سَاسَ. يَسُوسُ؛ إذا دبَّر الأمور، وأدار الشُّؤون. تنقسم إلى قسمين: خارجيةٌ، وداخليةٌ.

أمَّا الخارجية: فمدارها على أصلين:

أحدهما: إعداد القوَّة الكافية لقمع العدوِّ، والقضاء عليه؛ وقد قال تعالى في هذا الأصل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال:60].

الثَّاني: الوحدة الصَّحيحة الشَّاملة حول تلك القوَّة، وقد قال تعالى في ذلك: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:103]، وقال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال:46]، وقد أوضح القرآن ما يتبع ذلك من الصُّلح، والـهُدنة، ونبذ العهود، إذا اقتضى الأمر ذلك، قال: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ﴾ [التَّوبة:4]، وقال: ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡ﴾[التَّوبة:7]، وقال: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾ [الأنفال:58]، وقال: ﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التَّوبة:3]، وأمر بالحذر، والتَّحرُّز من مكائدهم، وانتهازهم الفرص، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [النِّساء:71]، وقال: ﴿وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ ﴾ [النِّساء:102]، ونحـــو ذلك مـــن الآيات.

**وأمَّا السِّياسة الدَّاخلية:** فمسائلها راجعةٌ إلى نشر الأمن، والطُّمأنينة داخل المجتمع، وكفِّ المظالم، وردِّ الحقوق إلى أهلها، والجواهر العظام التي عليها مدار السِّياسة الدَّاخلية ستَّةٌ:

**الأول:** الدِّين، وقد جاء الشَّرع بالمحافظة عليه؛ ولذا قال ﷺ: (من بدَّل دينه فاقتلوه)[1]، وفـــي ذلك ردعٌ بالغٌ عن تبديل الدِّين، وإضاعته.

**الثَّاني:** الأنفس، وقد شرع الله في القرآن القصاص محافظةً عليها: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾[البقرة:179]. ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾ [البقرة:178]، ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا ﴾ [الإسراء:33].

---

(1) البخاري (6922).

**الثَّالِث:** العقول، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليها. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة:90]، وفي الحديث: (كلُّ مُسكرٍ حرامٌ. ما أسكر كثيره، فقليله حرامٌ)[1]، ولأجل المحافظة على العقول وجَبَ الحدُّ على شارب الخمر.

**الرَّابِع:** الأنساب، وللمحافظة عليها شرع الله حدَّ الزِّنا ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾ [النُّور:2].

---

(1) **ضعيفٌ بهذا اللَّفظ.** أخرجه أحمد في مسنده (8/ 37).

وعند البخاري الشَّطر الأول منه: (كلُّ مُسكرٍ حرامٌ) (4343)، وعند التِّرمذي الشَّطر الثَّاني: (ما أَسكَر كَثيرُه؛ فقليلُهُ حرامٌ) (1865)؛ وقال عقبه: (حديثٌ حسنٌ غريبٌ) [السُّنن (429)].

الخامسة: الأعراض، ولأجل الـمحافظة عليها شرع الله جلد القـــاذف ثمانيـن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً﴾ [النُّـور:4].

السَّادس: الأمـوال، ولأجـل الـمحافظة عليها شـرع الله قـطـع يــد السَّـارق: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الـمائدة:38].

فتبيَّـن أنَّـه مـن الواضح أنَّ اتبـــاع القـرآن كفـيـلٌ للـمجتمع بـجميـع مصالـحـه: الدَّاخـــــليـة، والـخــارجيـــة.

* * * * *

وأمَّا المسألة الثَّامنة؛ التـي هي تسليط الكفَّار على الـمسلـميـن، فقد استشكلـها أصحاب رســول الله ﷺ وهو مـوجـودٌ بيـن أظهرهم، وأفتى الله جـلَّ، وعلا فـيها بنفسه فـي كتابـه، فتوى سماويةً أزال بها ذلك الإشكال؛

وذلك أنَّه لـمَّــا وقع بالـمسلـميـن مـا وقع يـوم أُحُــدٍ، استشكلوا ذلك، فقالوا: كيف يَـنَـالُ منَّـا الـمشـركــون؟. يُسلَّطُـوا علينـا، ونـحن على الـحـق، وهـم علـــى الباطـل؟، فأفتاهم الله فـي ذلك بقـولـه: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ [آل عمران:165]، وقولـه: ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾. أوضحـه على التَّحقيق بقولـه: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ﴾ [آل عـمـران:152]؛ فبيَّـن فـي هذه الـفتــوى السَّماويـة أنَّ سبب تسليط الكفَّار عليهم، جـاءهم مـن قبـل أنفسهم، وأنَّـه هو فشلـهم، وتنازعهم فـي الأمـر، وعصيان بعضهم الرَّسول، ورغبتهم فـي الدُّنيا، وذلك أنَّ

الـرُّمـاة الذيـن كانوا بسفح الـجبـل، يـمنعـون الكفَّار أن يأتوا الـمسلـميـن من جهة ظهورهم، طمعوا فـي الغنيمـة عند هزيـمة الـمشركيـن فـي أول الأمـر، فتـركـوا أمـر الـرَّســول ﷺ لأجــل رغبتهم فـي عَرَضٍ مـن الـدُّنيــا يـنالـونـــه[1].

* * * * *

**المسألة التَّاسعة**؛ التـي هي مسألة ضعف الـمسلـميـن، وقلَّة عَدَدِهم، وعُدَدِهم، بالنسبة إلـــى الكفَّار، فقد أوضح الله جلَّ، وعلا عـلاجها فـي كتابــه؛ فبيَّـن أنَّه إن علـم من قلوب عباده الإخلاص كما يـنبغي؛ كان من نتائج ذلك الإخلاص، أن يقهروا، ويغلبوا مـن هـو أقوى منهم؛ ولذا لـمَّا علـم جلَّ، وعلا من أهل بيعـة الرِّضوان

(1) انظر تفاصيل الواقعــة فـــي «صحيح البخـاري» (4043).

الإخلاص كما ينبغي، ونوَّه بإخلاصهم في قوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:18]. بيَّن أنَّ من نتائج ذلك الإخلاص، أنَّه تعالى يجعلهم قادرين على ما لم يقدروا عليه قال: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح:21]. فصرَّح بأنَّهم غير قادرين عليها، وأنَّه أحاط بها، فأقدرهم عليها، وجعلها غنيمةً لهم، لِمَا علم من إخلاصهم؛ ولذلك لمَّا ضرب الكفَّار على المسلمين في «غزوة الأحزاب» ذلك الحصار العسكريَّ العظيم المذكور في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب:10-11]. كان علاج هذا الضَّعف، والحصار العسكريِّ. الإخلاص لله، وقوَّة

الإيـمـان بـه. قال تعالـى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:22]؛ فكان من نتائج ذلك الإخـلاص ما ذكره الله بقولـه: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحـزاب:25-27]، وهـذا الذي نصرهم الله به ما كانوا يظنونـه، وهو الـملائكة، والـرِّيـح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ﴾ [الأحـزاب:9].

ولأجل هذا كان من الأدلَّة على صحَّة دين الإسلام، أنَّ الطَّائفة القليلة، الضَّعيفة، المتمسِّكة به، تغلب الكثيرة، القويَّة، الكافرة؛ ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:249]؛ ولذلك سَمَّى تعالى يوم بدرٍ: (آيةً)، و(بيِّنةً)، و(فرقانًا)، لدلالته على صحَّة دين الإسلام. قال: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾[آل عمران:13]، وذلك يوم بدرٍ، وقال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال:41]، وذلك يوم بدرٍ، وقال: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾[الأنفال:42]، وذلك يوم بدرٍ، على ما حقَّقه بعضهم. ولا شكَّ أنَّ غلبة الفئة القليلة الضَّعيفة المؤمنة، للكثيرة القوية الكافرة، دليلٌ على أنَّها على الحق، وأنَّ الله هو الذي نصرها، كما قال في وقعة بدرٍ:

﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ﴾ [آل عمران:123]، وقـال: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ [الأنفال:12]، والـمؤمنون الذيـن وعدهم الله بالنَّـصر، وبيـَّن الله تعالـى صفاتهم، وميَّـزهـم بها عن غيـرهم قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحـج:40]. ثمَّ ميَّزهـم عـن غيـرهم بصفاتهم فـي قـولـه: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحـج:41].

وهذا العلاج الذي أشرنا إليه أنَّه علاجٌ للحصار العسكريِّ، أشار تعالـى فـي «سورة الـمنافقيـن» إلـى أنَّــه أيضًا علاجٌ للحصار الاقتصاديِّ، وذلك فـي قولـه: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ

يَنفَضُّواْ﴾ [الـمنافقون:7]، وهذا الذي أراد الـمنافقون أن يفعلوه بالـمسلـمين، هو عين الـحصار الاقتصاديِّ، وقد أشار تعالى إلى أنَّ علاجه قوَّة الإيمان به، وصدق التَّوجُّه إليه جلَّ، وعلا بقوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [الـمنافقون:7]؛ لأنَّ من بيده خزائن السَّموات، والأرض، لا يضيع ملتجئًا إليه. مطيعًا له: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾[الطَّلاق:2-3]، وبيَّن ذلك أيضًا بقوله: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ [التَّوبة:28].

المسألة العاشرة: التي هي مشكلة اختلاف القلوب، فقد بيَّن تعالى في «سورة الـحشر»، أنَّ سببها عدم العقل بقوله: ﴿ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ﴾

[الحشر:14]، ثمَّ بيَّن السَّبب بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:14].

ودواء ضُعف العقل، هو إنارته باتِّباع نور الوحي؛ لأنَّ الوحي يرشد إلى المصالح، التي تقصر عنها العقول، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[الأنعام:122]؛ فبيَّن في هذه الآية أنَّ نور الإيمان يحيا به من كان ميتًا، ويضيء له الطَّريق التي يمشي فيها، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:257]، وقال: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك:22]. إلى غير ذلك من الآيات.

وبالجملة؛ فالمصالح البشرية التي بها نظام الدُّنيا راجعةٌ إلى ثلاثة أنواعٍ:

**الأول:** درء الـمفاسد؛ الـمعروف عند أهـل الأصول بـ«الضَّـروريات»؛ وحاصلـه دفع الضَّرَر عن الستَّة التـي ذكرنا قبـل؛ أعنـــي: الدِّيـن، والنَّفس، والعقل، والنَّسَب، والـعِــرض، والـمـــال.

**الثَّاني:** جلب الـمصالح؛ الـمعروف عند أهل الأصول بـ«الـحـاجـات»، ومـن فروعه: البيوع على القـول بذلك، والإجـــارات، وعامَّـة الـمصالح الـمتبادلـة بيـن أفراد الـمجتمع على الـوجــه الشَّـرعـــي.

**الثَّالث:** التَّـحلِّي بـمكارم الأخلاق، والـجــــري على مـحـاسـن العادات؛ الـمعــروف عند أهل الأصول بـ«التَّحسيـنات»، و«التَّتميمـات»، ومن فروعـه: خصال الفطرة كإعفاء اللِّـحيـة، وقصُّ الشَّـارب...إلخ؛ ومـن فـروعـــــه أيضًا تـحـريـم الـمُـسْـتَـقْـذَرات، ووجـوب الإنفاق على الأقـارب الفقراء؛ وكل هذه الـمصالح لا يـمكـن شـــيءٌ أشد مـحافظـــةً عليها بالطُّـرق

الـحكيمـة السَّليمـة مـــن ديـن الإســلام. ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هــود:1].

وصلَّى الله على مـحمَّـدٍ، وعلــى آلـــه، وصـحبـــه أجـمـــعيـن.

## الفهرس

## مشروع عقبة بن نافع لخدمة التراث المغاربي

1. **الإسلام دين كاملٌ.**
الشَّيخ محمد الأمين الشِّنقيطي رحمه الله.
2. **المصالح المرسلة.**
الشَّيخ محمد الأمين الشِّنقيطي رحمه الله.
3. **منهجٌ، ودراساتٌ لآيات الأسماء، والصِّفات.**
الشَّيخ محمد الأمين الشِّنقيطي رحمه الله.
4. **منهج التَّشريع الإسلامي، وحكمته.**
الشَّيخ محمد الأمين الشِّنقيطي رحمه الله.
5. **المثل العليا في الإسلام.**
الشَّيخ محمد الأمين الشِّنقيطي رحمه الله.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

ملاحظةٌ: كل هذه الكتب المباركة علَّق عليها، وخرَّج أحاديثها: عمر بن محمَّد ابن بوساحة بارك الله في جهوده.